المصدر: الراية
التاريخ : ١٥ اكتوبر ٢٠٠٥

انتحر بيده أم بيد عمرو-

إذا كان وزير الداخلية السوري غازي كنعان قد وضع حداً لحياته بطلقة من مسدسه في فمه فإنه قد فتح الباب واسعاً أمام التكهنات والاستنتاجات التي تحاول فك لغز الانتحار من خلال التصريح الأخير أو النعي الذي قدمه لإذاعة صوت لبنان مربوطاً بمقتل الحريري ودور كنعان الأمني في لبنان علي مدي عشرين عاماً ليصبح السؤال هل انتحر كنعان بيده أم أجبره الآخرون علي الانتحار-!

بداية لا بد من الإشارة الي ان ثقافة الانتحار غير موجودة في تاريخنا السياسي لأن الدين الاسلامي يحرم الانتحار ويجعل صاحبه كافراً يتردي في النار بالوسيلة التي انتحر بها لذلك لم نجد اي سياسي في عالمنا العربي والإسلامي قد انتحر إما لهذا السبب وهو الإيمان ببشاعة هذه الجريمة عند الله أو ان هؤلاء المسؤولين الذين يرتكبون أعظم الجرائم في حق شعوبهم لا يأبهون للنظام القضائي - حتي إذا تم تقديمهم للمحاكمة - لأن الأحكام غالباً ما تأتي مخففة نظراً للخدمة التي قدموها للوطن!.

لكن علي الرغم من ذلك قد يكون كنعان استثناء من هذه القاعدة وانه كان رجلاً مرهف الحس الوطني ولم يعد يطيق اتهامه بأنه كان يوزع أموالاً علي اللبنانيين والسوريين وأنه لم يتحمل ما تقوله وسائل الإعلام فقرر ان يرتاح من هذا الأمر وهذا الاحتمال يظل قائما لكنه ليس له حظوظ وافرة امام الاحتمال الآخر الذي يكاد يجمع عليه المراقبون بأن الرجل انتحر بالفعل لكن ليس بيده.

وهذا يعني ان فرضية الاغتيال الذي جاء في صورة انتحار هي الأقوي ما لم يثبت العكس خاصة اذا ما تم ربط الحادث بتقرير ميليس والتحقيق الذي جري مع كنعان قبل عدة ايام في قضية اغتيال الحريري والتهيؤ لتوجيه أصابع الاتهام لسوريا خاصة وانه أصبح هناك الكثير من الشواهد والأدلة التي تعزز هذا الاتجاه.

ان تصريح الوداع الذي أدلي به كنعان لإذاعة صوت لبنان يحمل في طياته العديد من الدلالات فلأول مرة يلح مسؤول عربي في طلب وسيلة اعلامية لكي يدلي لها بتصريح ويطلب من المذيعة تسليمه لأحد الأشخاص وهو هنا الشيخ بيار الضاهر ويتمني ان تعطيه المذيعة للمستقبل وNBN ولكل وسائل الإعلام لأنو بعتقد أن هذا آخر تصريح ممكن أعطيه .

وأولي هذه الدلالات انه سيقدم بعد هذا التصريح علي فعلة تهز أركان الدولة ولو كان سبب الانتحار شخصيا لاختار الانتحار في هدوء وفي أحد غرف المنزل لكن أن ينتحر في مكان العمل ويرسل بخطاب نعيه إلي العالم فهذا يكشف عن أبعاد سياسية بعيدة المدي.

ولو كان الأمر يقتصر علي مجرد تضايقه من حملة وسائل الإعلام ضده لما أقدم علي هذه الفعلة لأنه في عالمنا العربي غالبا ما يسجن الصحفي ويبرأ المسؤول

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ولم نسمع بحادثة واحدة من هذا النوع علماً بأن كنعان ليس أول ولا آخر مسؤول يمكن أن تهاجمه وسائل الإعلام.

لماذا أقدم كنعان علي الانتحار بعد عدة ايام فقط من استجوابه من قبل لجنة التحقيق الدولية وقبل ان يصدر التقرير النهائي بعشرة ايام ألا يدعو ذلك للاعتقاد بأنه قتل متعمد للتخلص من حامل الأسرار ورفع لبصمات الجاني من مكان الجريمة.

قد يكون من السذاجة التسليم بأن ما جري هو عملية انتحار أقدم عليها الجاني بمحض ارادته وقد يكون الأمر كذلك لكن كانت هناك يد خفية هي التي ضغطت علي زناد المسدس هذه اليد هي الورطة الكبري في قتل الحريري والتي أضعفت الموقف السوري وأجبرته علي الانسحاب من لبنان في غضون عدة أيام.

هذه الورطة كانت البداية لانفراط عقد المتآمرين علي قتل الحريري بدأت باعتقال أربعة من قادة الأجهزة الأمنية في لبنان وانتحار كنعان وهي العقيد محمد صافي وربما تتواصل السلسلة خاصة بعد الإعلان الرسمي لنتائج التحقيق والتي قد تكشف عن مفاجآت جديدة وأسماء جدد.

ما زالت سوريا تقول انها ليست متورطة وليست هناك ادلة مادية حتي الآن علي التورط السوري لكن المجتمع الدولي لن يأخذ بمجرد التصريحات خاصة ان هذه القضية ستضم الي ملف مقتل الحريري وربما يكشف أهل الجاني كنعان بعض الأسرار في المستقبل خاصة وأن ابنه عقيد بالجيش وربما لا يرضي ان تنتهي حياة والده بهذا الشكل الذي يقدم عليه المجرمون واليائسون من الحياة قليلي الإيمان بالله.

حتي واقعة الانتحار ذاتها ستكون محل شك بالكيفية التي تم الإعلان عنها حسب وكالة سانا السورية الرسمية وُجد منتحراً في مكتبه ففي ظل الشكوك المحيطة بالقضية ليس غريباً ان يسأل أحد عما اذا كان هناك شخص ما قام بقتل كنعان في مكتبه خاصة وان تقرير الطب الشرعي سيصدر من مؤسسة حكومية سورية.

ان مقتل كنعان او انتحاره هو أحد النذر الكبري لتقرير ميليس الذي ربما يضع الكثير في قفص الاتهام وربما يضع سوريا ولبنان علي سطح صفيح ساخن في شتوية قادمة ربما لا ينعم احد فيها بالبيات الشتوي والسكينة.

قد يكون موت كنعان مثله مثل كل ما له علاقة بالنظام السوري الذي يشهد محاولات أمريكية واسعة لعزله ووضعه في دائرة الاتهام التي ازدادت ترسيخا بموت كنعان وأجدني اري أمريكا وهي تضحك وتخفي وجهها فرحاً بالحصول علي دلائل جديدة لاتهام النظام في سوريا وحشره في خانة اليك .

اللافت للنظر ان الاعلام السوري تعامل مع القضية وكأن كنعان وزير الداخلية في

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

إحدي دول القارة الأفريقية فقد تم نقل خبر موت كنعان الذي وجد منتحراً في مكتبه وأن لجنة ستقوم بالتحقيق في الحادث، ولم يكلف الاعلام السوري نفسه للحديث عن فرضية الانتحار حتي من باب إقناع الآخرين ودفعاً للشبهات حول سوريا فكأن الموت في سوريا والجنازة في العالم العربي.

ان النظرة العميقة للأمور تقتضي عدم الفصل بين الحادثة وخدمة الرجل في لبنان عشرين عاماً كان فيها حاكم لبنان الفعلي ولعب خلالها دوراً رئيسيا في تشكيل وجه لبنان السياسي منذ عام 1982 وحتي 2002 لكنه سرعان ما عاد الي السطح بموت الحريري غدراً.

كما أن الاعلان عن الانتحار في هذه المرحلة التي تمر بها سوريا اذ تتعرض لضغوط امريكية شديدة لتغير سلوكها حيال العراق ولبنان يؤكد ان رحيل كنعان كان مقصوداً لكي يأخذ معه الأسرار والملفات الأمنية.

هذه التساؤلات والتكهنات السابقة تظل مرتبطة بما ستكشف عنه التحقيقات التي أجراها ميليس وما ستعلن عنه سوريا من ملابسات حول انتحار كنعان وأركان الرواية السورية ستظل محل شك وعدم تصديق من قبل المجتمع الدولي الذي فتح الملف اللبناني بكل تفاصيله.

وقد يري البعض أن كثيرا من هذه التكهنات يتعارض مع ما أكد عليه الرئيس السوري بشار الأسد في حديثه مع شبكة السي.إن.إن من أن الاغتيال ليس من مباديء سوريا وضد مصلحتها ولكن الرد هو متي كانت السياسة دائما ملتزمة بمباديء ومتي كانت السياسة دائما من أجل المصلحة- وهل من الضرورة كل ما يفعله أي نظام يصب دائما في مصلحته-

وسواء كان موت كنعان انتحاراً أم نحراً فإن المسألة تتجاوز قضية كنعان الذي ربما كان مجرد كبش فداء الي سوريا ذاتها بعد أن أصبحت في مرمي البندقية الأمريكية وانه لم يعد يجدي غياب رمز أو أكثر من الرموز السورية لانقاذ نظام بأكمله وصل الي مرحلة الاستحقاقات التي ينبغي ان يدفعها، ولا أعتقد أننا سنجد رداً حاسماً علي سؤال نُحر أم انتحر- علي الأقل في القريب العاجل وكغيرها من القضايا الشائكة سيظل الجدل مستمراً وسيظل كل فريق علي وجهة نظره وسيحكم الله بين العباد يوم القيامة.

حسام عبدالحميد

إعلامي مصري

www.ethraadl.com